International Journal of `Umranic Studies
Jurnal Antarabangsa Kajian `Umran
المجلة العالمية للدراسات العمرانية
journal homepage: www.unissa.edu.bn/ijus

أثر السياق القرآني في نقد الروايات الإسرائيلية

محمد ذاكر بن حسين وإسماعيل عبد الله
محاضران بكلية أصول الدين
جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، سلطنة بروني دار السلام.

Vol.4, Issue 2 | July 2021

الخلاصة

إن من أعظم الدلالات دلالة السياق القرآني فإنها تنمي في المرء ملاحظة سابق الآيات ولاحقها، وما يصل بين هذا وذاك، فيقتنص من ملاحظة السياق فوائد كنت تخفي عليه لو أهمله. يقصد بالروايات الإسرائيلة ما يروى عن أهل الكتاب من قصص وحوادث، والنسبة فيها إلى بني إسرائيل، وهو نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وإليه ينتسب اليهود والنصارى فيقال لهم بنو إسرائيل. وبأن كثيرا من الناس لا يعرفون السياق والروايات الإسرائيلية فإن هذه الدراسة تبين ذلك، وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز وكشف أثر السياق القرآني في نقد الروايات الإسرائيلية. سيعتمد الباحثان في دراستهما على المنهج الوصفي التحليلي، فيستعملان المنهج الوصفي في تحديد معنى السياق، والإسرائيليات، والمنهج التحليلي في عرض الأمثلة لأثر السياق القرآني في نقد الروايات الإسرائيلية. وقد توصلت النتيجة إلى أن السياق القرآني دور كبير في إبطال الروايات الإسرائيلية التي التي وردت في كتب التفسير.

الكلمات المفتاحية

الآيات القرآنية، السياق، الإسرائيلية، التفسير، الروايات

ABSTRACT

One of the greatest significance of the Qur'anic context is that it develops an observation of the preceding and succeeding verses, and the relation between this and that, to enable the extraction of the contextual benefits should anyone neglects it. The Israilliyyat narrations mean the stories and incidents narrated from the People of the Book, and the relationships therein are to the Children of Israel, being attributed to the Prophet of God, Ya`qub Bin Ishaq Bin Ibrahim, peace be upon them. Many people do not possess knowledge of the Israilliyyat context and narratives, and this study shows that. This study aims to highlight and reveal the effect of the Qur'anic context on the criticism of Israilliyyat narratives. The researchers in their study will depend on the descriptive and analytical approach, using the descriptive

KEYWORDS

Quranic verses, context, Israilliyyat, interpretation, narrations

method to determine the meaning of the context, and the analytical method in presenting examples of the impact of the Qur'anic context on the criticism of Israilliyyat narratives. The result shows that the Qur'anic context played a significant role in nullifying the Israilliyyat narrations being mentioned in the books of Qur'anic exegesis or interpretations.

المقدّمة

إن القرآن كتاب الهداية الخالد على مر العصور والأزمان، وهو مصدر العقيدة والأصيل يجب أن يتعلمه المسلمون يقرأونه آناء الليل وأطراف النهار ويفهمونه ويطبقون تعاليمه في حياتهم. وقد حثنا الله – تعالى على التدبر في آياته، ولذلك ينبغي على كل مسلم أن يهتم لهذا الأمر ويسعى إلى فهمه.

ومن أساليب هدايته إيراده القصص السابقة ليتم بها العبرة والعظة، ويتميز إيراد القصص فيه بالاقتصار على مواطن العظة والعبرة، دون الحشو في ذكر التفصيلات الجزئية الخالية من هذين الاعتبارين.

والنفس البشرية من طبيعتها أنها تتطلع للفضول لمعرفة تفاصيل قصص القرآن، ووجدت الضالة في الروايات الإسرائيلية للقصص، ففيها التفصيلات التي قد تشبع فضول الناس، وقد لا تشبع أحيانا بحسب درجة الفضول عند الفرد.

وللسياق القرآني دور كبير في إظهار بطلان الروايات الإسرائيلية، إذ إن الآيات القرآنية لها أغراض ومقاصد سيقت من أجلها، فتأتي هذه الروايات تتناقض وتتعارض معها ولا تتفق ولا تتناسب مع سياق الآيات، مما يجعل السياق سببا في نقد هذه الروايات الإسرائيليات وبطلانها.

المبحث الأول: تعريف السياق

أ- تعريف السياق لغة:

أخذت كلمة السياق من " س و ق "، وهي كلمة تدل على معنى التتابع والاتصال وعدم الانقطاع.

قال ابن فارس: "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْوُ الشَّيء. يقال ساقه يسوقه سَوقاً. والسيقة: ما استيق من الدوابّ. ويقال سقتُ إلى امرأتي صَدَاقها، وأَسَقْتُهُ. والسُّوق مشتقّةٌ من هذا، لما يُساق إليها من كلِّ شيء"[1].

وقال الراغب: "سوق الإبل: جلبها وطردها، يقال: سقته فانساق، والسيقة: ما يساق من الدواب. وسقت المهر إلى المرأة، وذلك أن مهورهم كانت الإبل"[2].

وقال ابن منظور: "السَّوق معروف ساقَ الإبلَ وغيرَها يَسُوقها سَوْقاً وسِياقاً وهو سائقٌ وسَوَّاق شدِّد للمبالغة ... وقد انْساقَت وتَساوَقَت الإبلُ تَساوُقاً إذا تتابعت وكذلك تقاوَدَت فهي مُتَقاوِدة ومُتَساوِقة ... والسِّياق المهر ... قيل للمهر سَوْق لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهراً لأَنها كانت الغالبَ على أموالهم وضع السَّوق موضع المهر وإن لم يكن إبلاً وغنماً "[3].

وقال الفيروزبادي: "وَلَدَتْ ثلاثَةَ بَنينَ على ساقٍ : مُتتابِعَةً لا جارِيَةَ بينهم ... وساقَ الماشِيَةَ سَوْقاً وسِياقَةً ومَساقاً واسْتاقَها فهو سائقٌ وسَوَّاقٌ... وإلى المرأةِ مَهْرَها: أرْسَلَهُ كأساقَه...وتَساوَقَتِ الابِلُ : تَتَابَعَتْ وتَقاوَدَتْ[4]"

---

[1] ابن فارس، أبو الحسين أحمد. (1999م). **معجم مقاييس اللغة**. عبد السلام محمد هارون (محقق). د.ط. بيروت: دار الجبل. ج 3. ص 117. [سوق]

[2] الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. (2002م)، **مفردات ألفاظ القرآن**. صفوان عدنان داودي (محقق). ط3. دمشق: دار القلم. ج1. ص 514. [ساق].

[3] ابن منظور، محمد بن مكرم. (2005م). **لسان العرب**، ط4. بيروت: دار صادر. ج10. ص116. [سوق].

[4] الفيروزبادي، محمد بن يعقوب. (2005م). **القاموس المحيط**. ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. ص895 – 896. [الساق].

وقال الزبيدي: "ومن المجازِ :هو يَسُوقُ الحَدِيثَ أَحْسَن سِياقٍ، وإِليكَ يُساقُ الحَدِيثُ، وكلام مَساقُهُ إِلى كذا، وجِئْتُك بالحَدِيث على سَوْقِهِ، على سَرْدِه"[5].

فيما تقدم من الوقوف على أصل كلمة السياق، واستعمالاتها عند العرب، يظهر فيما يلي: إن كلمة السياق تستعمل في الدلالة على المحسوس كالإبل والمهر، وتستعمل في الدلالة على المعنوي وهو الكلام، فتتضمن أمرين:

الأول : التتابع وعدم الانقطاع

الثاني : الانسجام والتلاؤم في هذا التتابع

ب- تعريف السياق اصطلاحا

وقد استخدم العلماء قديما السياق وأوردوه في مصنفاتهم، إلا أنهم لم يذكروا له تعريفا محددا؛ ولكن يمكن تعريفه من خلال بعض تعبيراتهم:

ذكر الطبري سبب ترجيحه لأحد الأقوال على أنه اتساق الكلام على نظام في المعنى فقال: "فإنما اخترنا ما اخترنا من التأويل طلب اتساق الكلام على نظام في المعنى"[6]. فقوله يتضمن معنى السياق.

وقال السرخسي في بيان القرينة التي تقترن باللفظ: "فيكون النص ظاهرا لصيغة الخطاب نصا باعتبار القرينة التي كان السياق لأجلها "[7].

وقال الشافعي: "وظاهر يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره ، وتبتدئ الشئ من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره وتبتدئ الشئ يبين آخر لفظها منه عن أوله"[8].

وقال ابن قتيبة : "وكتابنا هذا مستنبط من كتب المفسرين، وكتب أصحاب اللغة العالمين، لم نخرج فيه عن مذهبهم، ولا تكلفنا في شيء منه بآرائنا غير معانيهم، بعد اختيارنا في الحرف أولى الأقاويل في اللغة، وأشبهها بقصة الآية "[9]. فجعل الرأي الراجح هو ما دلت عليه اللغة بمعونة دلالة السياق.

وقال ابن جزي الكلبي في بيان أوجه الترجيح:" وهو الصحيح الذي يدل عليه سياق الكلام ويشهد له مواضع من القرآن"[10].

فالسياق يختص بالنص دون ما وراءه، فلا يعدون من السياق أسباب النزول، ومقام الكلام مع اهتمامهم بذلك كله.

وفرق العلماء بين السياق ودلالة الحال أو قرائن الأحوال. قال ابن دقيق العيد: "أما السياق والقرائن: فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه"[11].

وأشار ابن القيم إلى التفريق بينهما : "وتارة يحذف الجواب وهو مراد إما لكونه قد ظهر وعرف؛ إما

---

[5] الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، (د.ت). **تاج العروس من جواهر القاموس**، مجموعة من الباحثين (محقق). د.ط. الكويت: نشر وزارة الإعلام الكويتية. ج25. ص483. [س و ق].

[6] الطبري، محمد بن جرير. (2000م). **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، أحمد محمد شاكر (محقق). ط1. القاهرة: مؤسسة الرسالة. ج2. ص480.

[7] السرخسي، محمد بن أحمد. (د.ت). **أصول السرخسي**. أبو الوفا الأفغاني (محقق). دط. لجنة إحياء المعارف النعمانية. ج1. ص164.

[8] الشافعي، محمد بن إدريس. (د.ت). **الرسالة**. أحمد محمد شاكر (محقق). د.ط. بيروت: دار الكتب العلمية. ص52.

[9] ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. (1398هـ/1978م)، **تفسير غريب القرآن**، السيد أحمد صقر (محقق). د.ط. بيروت: دار الكتب العلمية. ص4.

[10] ابن جزي الكلبي، محمد بن أحمد. (1415هـ/1995م). **التسهيل لعلوم التنزيل**. محمد سالم هاشم (محقق). ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. ج1. ص9.

[11] ابن دقيق العيد، محمد بن علي. (2005). **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**. مصطفى شيخ مصطفى ومدثر سندس (محققق). ط1. مؤسسة الرسالة. ج1. ص278.

بدلالة الحال كمن قيل له: كُلْ فقال لا والله الذي لا إله إلا هو، أو بدلالة السياق، وأكثر ما يكون هذا إذا كان في نفس المقسم به ما يدل على المقسم عليه وهي طريقة القرآن "[12].

وأشار أيضا الزركشي عندما بين معنى "كيف" فقال: "هذا أصلها في الوضع؛ لكن قد تعرض لها معان تفهم من سياق الكلام، أو من قرينة الحال؛ مثل معنى التنبيه والاعتبار وغيرهما"[13].

وقال الشيخ السعدي في بيان الأمور المعينة على فهم المراد من القرآن: "فالنظر لسياق الآيات، مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله – أي القرآن – من أعظم ما يعين على معرفته، وفهم المراد منه"[14].

وعلى ما سبق يمكن تعريف السياق بأنه فهم الكلمة أو الجملة القرآنية منتظمة مع ما قبلها وما بعدها في الجملة، وتتسع دائرته فيشمل الجمل السابقة واللاحقة، بل والسورة، والكتاب كله.

المبحث الثاني: تعريف الإسرائيليات

الإسرائيليات لغة جمع مفرده إسرائيلية، نسبةً إلى بني إسرائيل. واصطلاحا: قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي، والنسبة فيها إلى إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الإثني عشر، وإليه ينسب اليهود[15].

وقد يتوسع العلماء في هذا المصطلح فيطلقونه على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة، منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما[16].

والأصل في رواية الإسرائيليات حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم –: بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعدة من النار[17].

ومراد رسول الله – صلى الله عليه وسلم هو أن تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، وهي لا تخلو من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما علمنا صحته مما بأيدينا من القرآن والسنة، والقرآن هو: الكتاب المهيمن، والشاهد على الكتب السماوية قبله، فما وافقه فهو: حق وصدق، وما خالفه فهو: باطل وكذب... وهذا القسم صحيح، وفيما عندنا غنية عنه، ولكن يجوز ذكره، وروايته للاستشهاد به، ولإقامة الحجة عليهم من كتبهم.

والقسم الثاني: ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه... فهذا لا تجوز روايته وذكره إلا مقترنا ببيان كذبه، وأنه مما حرفوه، وبدلوه، قال تعالى :

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ﴾ [المائدة: 41]، وفي هذا القسم: ورد النهي عن النبي –

---

[12] ابن القيم، محمد بن أبي بكر. د.ت. **التبيان في أقسام القرآن**. د.ط. بيروت: دار الفكر. ج1. ص10.

[13] الزركشي، محمد بن بهادر. (د.ت). **البرهان في علوم القرآن**، محمد أبو الفضل إبراهيم (محقق). د.ط. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه. ج4. ص330.

[14] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (2000م). **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. عبد الرحمن بن معلا اللويحق (محقق). ط1. مؤسسة الرسالة. ج1. ص4.

[15] الذهبي، محمد حسين. (2005م). **الإسرائيليات في التفسر والحديث** ضمن كتاب بحوث في علوم التفسير والفقه والدعوة، ط1. القاهرة: دار الحديث. ص17.

[16] ينظر: الذهبي، محمد حسين. (2005م). **الإسرائيليات في التفسر والحديث** ضمن كتاب بحوث في علوم التفسير والفقه والدعوة، ط1. القاهرة: دار الحديث. ص17.

[17] أخرجه الإمام البخاري في **صحيحه**، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم 3274.

صلى الله عليه وسلم – للصحابة عن روايته، والزجر عن أخذه عنهم، وسؤالهم عنه؛ قال الإمام مالك – رحمه الله – في حديث : "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" : المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن : أما ما عُلِم كذبه فلا[18].

القسم الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا، ولا من ذاك، فلا نؤمن به، ولا نكذبه؛ لاحتمال أن يكون حقا فنكذبه، أو باطلا فنصدقه، ويجوز حكايته لما تقدم من الإذن في الرواية عنهم[19]. ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه أبو هريرة، قال: "كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله، وما أنزل إلينا، وما أنزل إليكم"[20]، ومع هذا: فالأولى عدم ذكره، وأن لا نضيع الوقت في الاشتغال به[21].

وللسياق القرآني أثر في كشف بطلان الروايات الإسرائيليات ونقدها، ويظهر ذلك إذا ما طابقت القسم الثاني بأن تكون مخالفة لما عندنا، فحينئذ يتم إبطالها، ويحرم روايتها إلا لبيان حالها.

المبحث الثالث: عرض أمثلة من أثر السياق القرآني في نقد الروايات الإسرائيلية

المثال الأول: قوله – تعالى –: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 102].

ذكر المفسرون عند تفسيرهم لهذه الآية روايات منها:

قال نافع: سافرت مع ابن عمر، فلما كان من آخر الليل قال : يا نافع انظر هل طلعت الحمراء قلت : لا مرتين أو ثلاثا ثم قلت: قد طلعت، قال: لا مرحبا بها ولا أهلا قلت: سبحان الله نجم مسخر سامع مطيع قال : ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الملائكة قالت: يا رب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب قال: إني ابتليتهم وعافيتكم قالوا: لو كنا مكانهم ما عصيناك، قال : فاختاروا ملكين منكم فلم يألوا جهدا أن يختاروا فاختاروا هاروت وماروت فنزلا فالقى الله عليهم الشبق قلت: وما الشبق؟ قال: الشهوة، فجاءت

---

[18] ينظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (1426هـ/2005م). **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ط1، دار طيبة. ج6. ص499.

[19] وهو قوله– صلى الله عليه وسلم –: "وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ".

[20] البخاري، محمد بن إسماعيل. (1407هـ/2987م). **الجامع الصحيح**، كتاب التفسير، باب قولوا " آمنا بالله وما أنزل إلينا "، رقم 6928. مصطفى البغا (محقق)، ط3، بيروت: دار ابن كثير، ج4، ص1630.

[21] ينظر: أبو شهبة، محمد بن محمد، (د.ت). **الإسرائيليات والموضوعات في كتب النفسير**، ط4. القاهرة، مكتبة السنة. ج135 – 137، والذهبي، محمد حسين. (2000م). **التفسير والمفسرون**، ط7. القاهرة: مكتبة وهبة. ج4. ص14.

امرأة يقال لها الزهرة فوقعت في قلوبهما فجعل كل واحد منهما يخفي عن صاحبه ما في نفسه ثم قال أحدهما للآخر: هل وقع في نفسك ما وقع في قلبي؟ قال: نعم، فطلباها لأنفسهما فقالت: لا أمكنكما حتى تعلماني الاسم الذي تعرجان به إلى السماء وتهبطان به، فأبيا ثم سألاها أيضا فأبت ففعلا، فلما استطيرت طمسها الله كوكبا وقطع أجنحتهما ثم سألا التوبة من ربهما فخيرهما فقال : إن شئتما رددتكما إلى ما كنتما عليه فإذا كان يوم القيامة عذبتكما وإن شئتما عذبتكما في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة رددتكما إلى ما كنتما عليه، فقال أحدهما لصاحبه : إن عذاب الدنيا ينقطع ويزول فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة، فأوحى الله إليهما: أن ائتيا بابل فانطلقا إلى بابل فخسف بهما فهما منكوسان بين السماء والأرض معذبان إلى يوم القيامة[22]

وهناك روايات آخرى ذكرها المفسرون عند تفسيرهم لهذه الآية وعزوه إلى عائشة رضى الله عنها حيث قالت: قدمت علي امرأة من أهل دومة الجندل، جاءت تبتغي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته حداثة ذلك، تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به. قالت عائشة لعروة: يا ابن أختي، فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشفيها، كانت تبكي حتى إني لأرحمها! وتقول: إني لأخاف أن أكون قد هلكت! كان لي زوج فغاب عني، فدخلت علي عجوز فشكوت ذلك إليها، فقالت: إن فعلتِ ما آمرك به، فأجعله يأتيك! فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين، فركبت أحدهما وركبت الآخر، فلم يكن كشيء حتى وقفنا ببابل، فإذا برجلين معلقين بأرجلهما، فقالا ما جاء بك؟ فقلت: أتعلم السحر؟ فقالا إنما نحن فتنة فلا تكفري وارجعي. فأبيت ..."[23].

وهناك روايات وطرق أخرى متعددة بنحو ما تقدم من زيادة ونقصان في بعضها، وقد بلغت الآثار الواردة في هذه القصة نيفا وعشرين طريقا[24].

عند النظر في سياق الآية تبين لنا أنها لم تأت لتبين هذه التفاصيل العجيبة الغريبة وهذه القصة المنكرة، وليس في الآية ما يدل ولو من بعد على هذه القصة.

فالآية في سياق الحديث عن اشتغال اليهود بالسحر والشعوذة بعون من الشياطين ليبين ما افتراه أهل الأهواء من اليهود على سليمان من أمر السحر. وإنزال الملكين هاروت وماروت لتعليمهم أبوابا من السحر، حتى يعلموا الفرق بين السحر والنبوة.

فقال أبو شهبة في بيان التفسير الصحيح لهذه الآية على حسب السياق: "أن الشياطين في ذلك الزمن السحيق كانوا يسترقون السمع من السماء، ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها، ويُلْقُونها إلى كهنة اليهود وأحبارهم. وقد دوَّنها هؤلاء في كتب يقرؤونها، ويعلمونها الناس، وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا: هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم، وبه يسخر الإنس، والجن، والريح التي تجري بأمره، وهذا من افتراءات اليهود على الأنبياء، فأكذبهم الله بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ ثم عطف عليه: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ فالمراد بما أنزل هو: علم السحر

[22] أخرجه الطبري في **جامع البيان**. ج2. ص249، وذكره السيوطي في **الدر المنثور**. ج1. ص238.

[23] أخرجه الطبري في **جامع البيان**. ج2. ص440. وذكره السيوطي في **الدر المنثور**. ج1. ص242.

[24] الآلوسي، محمود بن عبد الله. (د.ت). **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. د.ط. لبنان: دار إحياء التراث العربي ج1. ص341.

الذي نزلا ليعلماه الناس، حتى يحذروا منه، فالسبب في نزولهما هو: تعليم الناس أبوابا من السحر، حتى يعلم الناس الفرق بين السحر والنبوة، وأن سليمان لم يكن ساحرا، وإنما كان نبيا مرسلا من ربه، وقد احتاط الملكان عليهما السلام غاية الاحتياط، فما كانا يُعلِّمان أحدا شيئا من السحر حتى يُحذِّراه، ويقولا له: إنما نحن فتنة أي بلاء واختبار، فلا تكفر بتعلمه والعمل به، وأما من تعلمه للحذر منه ، وليعلم الفرق بينه وبين النبوة والمعجزة ؛ فهذا لا شيء فيه ، بل هو أمر مطلوب، مرغوب فيه إذا دعت الضرورة إليه، ولكن الناس ما كانوا يأخذون بالنصيحة، بل كانوا يفرقون به بين المرء وزوجه ، وذلك بإذن الله ومشيئته، ... واليهود عليهم لعائن الله لما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يعلمون أنه النبي الذي بشرت به التوراة حتى كانوا يستفتحون به على المشركين قبل ميلاده وبعثته، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، ونبذوا كتابهم التوراة، وكتاب الله القرآن وراء ظهورهم، وبدل أن يتبعوا الحق المبين اتبعوا السحر الذي توارثوه عن آبائهم والذي علمتهم إياه الشياطين، وكان الواجب عليهم أن ينبذوا السحر، ويحذروا الناس من شره، وذلك كما فعل الملكان: هاروت وماروت من تحذير الناس من شروره ، والعمل به، وهذا هو التفسير الصحيح للآية، لا ما زعمه المبطلون الخرفون وبذلك : يحصل التناسق بين الآيات وتكون الآية متآخية متعانقة، ولا أدري ما الصلة بين ما رووه من إسرائيليات، وبين قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾"[25].

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري في بيان سياق الآيات، فالآيات في سياق الحديث عن اليهود وما عليه من الشر والفساد وما فتح الله عليهم من باب التوبة: "ما زال السياق الكريم في بيان ما عليه اليهود من الشر والفساد، ففي الآية الأولى يخبر تعالى: أن اليهود لما نبذوا التوراة لتقريرها بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتأكيدها لصحة دينه اتبعوا الأباطيل والترهات التي جمعها شياطين الإنس والجن في صورة رُقى وعزائم وكانوا يحدثون بها، ويدّعون أنها من عهد سليمان بن داود عليهما السلام، وأنها هي التي كان سليمان يحكم بها الإنس والجن، ولازم هذا أن سليمان لم يكن رسولاً ولا نبياً وإنما كان ساحراً كافراً، فلذا نفى الله تعالى عنه ذلك بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ وأثبته للشياطين فقال: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾. كما يعلمونهم ما ألهمه الملكان هاروت وماروت ببابل العراق من ضروب السحر وفنونه، وهنا أخبرنا تعالى عن ملكي الفتنة أنهما يقولان لمن جاءهما يريد تعلم السحر: إنما نحن فتنة فلا تكفر بتعلمك السحر وهذا القول منهما يفهم منه بوضوح أن أقوال الساحر وأعماله التي يؤثر بها على الناس منها ما هو كفر في حكم الله وشرعه قطعاً. كما أخبر تعالى في هذه الآية أن ما يتعلمه الناس من الملكين إنما يتعلمونه ليفرقوا بين الرجل وامرأته، وأن ما يحدث به من ضرر هو حاصل بإذن الله تعالى حسب سنته في الأسباب والمسببات، ولو شاء الله أن يوجد مانعاً يمنع من حصول الأمر بالضرر لفعل وهو على كل شيء قدير. فبهذا متعلموا السحر بسائر أنواعه إنما هم يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم. وفي آخر الآية يقرر تعالى علم اليهود بكفر الساحر ومتعلم السحر ومتعاطيه حيث أخبر تعالى أنهم لا نصيب لهم في الآخرة من النعيم المقيم فيها. فلذا هم كفار قطعاً. وأخيراً يقبح – تعالى – ما باع به اليهود أنفسهم، ويسجل عليهم الجهل بنفي العلم إذ قال تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. وفي الآية الثانية يفتح – تعالى – على

[25] أبو شهبة، **الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**. ص215 – 216.

اليهود باب التوبة فيعرض عليهم الإيمان والتقوى فيقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾"[26].

ويضاف إلى ذلك السياق القرآني العام الذي يدل على صفات الملائكة وطبيعتهم وأن الملائكة معصومون عن مثل هذه الكبائر : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: 50]. وقوله – تعالى -: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: 26 - 27]. وقوله – تعالى – ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: 20]. وقوله – تعالى –: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6].

وقد دخلت إلينا تفاصيل هاروت وماروت عن طريق الإسرائيليات التي وردت إلينا عن طريق أهل الكتاب، ونسبت إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – زورا وبهتانا.

قال الإمام ابن كثير: "وحاصلُها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديثٌ مرفوع صحيح متّصلُ الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى. وظاهرُ سياق القرآن إجمالُ القصة من غير بسْطٍ ولا إطنابٍ فيها، فنحن نؤمِن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال"[27].

وعلق عليه الأستاذ أحمد محمد شاكر في تحقيقه على تفسير الطبري: "وهذا هو الحق، وفيه القول الفصل . والحمد لله"[28].

المثال الثاني: قوله – تعالى -: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: 150].

ذكر المفسرون عند تفسيرهم لهذه الآية روايات وردت في سبب غضب موسى عندما ألقى الألواح:

عن قتادة قال: ﴿أخذ الألواح﴾، قال: رب، إني أجد في الألواح أمةً خيرَ أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فاجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون في دخول الجنة، رب اجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرأونها،= وكان من قبلهم يقرأون كتابهم نظرًا، حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئًا، ولم يعرفوه. قال قتادة: وإن الله أعطاكم أيتها الأمة من الحفظ شيئًا لم يعطه أحدًا من الأمم = قال: ربِّ اجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد!

---

[26] الجزائري، جابر بن موسى. (1424هـ/2003م). **أيسر التفاسير**. ط5، السعودية: مكتبة العلوم والحكم. ج1. ص91 – 92.

[27] ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (2000م). **تفسير القرآن العظيم**. ط1. مؤسسة قرطبة. ج1. ص360.

[28] الطبري. **جامع البيان**. ج2. ص432.

قال: رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ويقاتلون فضول الضلالة، حتى يقاتلوا الأعور الكذاب، فاجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: رب إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم، ثم يؤجرون عليها= وكان من قبلهم من الأمم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه، بعث الله عليها نارًا فأكلتها، وإن ردَّت عليه تركت تأكلها الطير والسباع. قال: وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم= قال: رب اجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا همّ أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة، رب اجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا همّ أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها، فإذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة، فاجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم، فاجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم المشفَّعون والمشفوع لهم، فاجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: وذكر لنا أن نبي الله موسى عليه السلام نبذ الألواح وقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد! قال: فأعطي نبي الله موسى عليه السلام ثنتين لم يعطهما نبيٌّ، قال الله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [سورة الأعراف: 144]. قال: فرضي نبي الله. ثم أعطي الثانية:﴿ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴾ [سورة الأعراف: 159]، قال: فرضي نبي الله صلى الله عليه وسلم كل الرضى"[29].

ذكرت هذه الرواية أنه لما رأى موسى – عليه السلام – من فضيلة أمة – محمد صلى الله عليه وسلم – رغب أن يكون ذلك لأمته؛ فلما علم أنه لغيرها غضب وألقى الألواح بسبب ذلك.

وإذا نظرنا إلى هذه الآية ضمن ورودها في السياق وجدنا أنها في سياق الحديث عن غضب موسى – عليه السلام – بسبب فعل قومه لعبادتهم العجل، وقد ذكر هذا المعنى شيخ المفسرين الطبري معتمدا على السياق حيث قال:" أن يكون سبب إلقاء موسى الألواح كان من أجل غضبه على قومه لعبادتهم العجل؛ لأن الله – جل ثناؤه – بذلك أخبر في كتابه فقال: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ ﴾"[30].

وفي نفس الاتجاه كرره الإمام القرطبي – رحمه الله – وقرره فقال: "قوله تعالى: ﴿وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ ﴾ أي مما اعتراه من الغضب والأسف حين أشرف على قومه وهم عاكفون على عبادة العجل، وعلى أخيه في إهمال أمرهم ... ولا التفات لما روي عن قتادة إن صح عنه، ولا يصح أن إلقاءه الألواح إنما كان لما رأى فيها من فضيلة أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يكن ذلك لأمته. وهذا قول ردئ ينبغي أن يضاف إلى موسى – عليه السلام –"[31].

ويمكن أيضا أن يرد القول الثاني بما ذكره الحافظ ابن كثير – رحمه الله – على حسب السياق ولا يصح إسناد الأثر

[29] أخرجه الإمام الطبري في جامع البيان، ج13، ص122-123، وذكره السيوطي في الدر المنثور، ج3، ص552.

[30] الطبري، **جامع البيان**، ج13، ص124.

[31] القرطبي، أحمد بن محمد. (د.ت). **الجامع لأحكام القرآن**. هشام سمير البخاري (محقق). د.ط. الرياض: دار عالم الكتب، ج7، ص288.

إلى قتادة، وإن صح فإنه تلقاه عن بعض أهل الكتاب، حيث قال: "ظاهر السياق أنه إنما ألقى الألواح غضبًا على قومه، وهذا قول جمهور العلماء سلفا وخلفا، وروى ابن جرير عن قتادة في هذا قولا غريبًا، لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة، وقد رَدّه ابن عطية وغير واحد من العلماء، وهو جدير بالرد، وكأنه تَلَقَّاه قتادة عن بعض أهل الكتاب، وفيهم كذابون ووَضّاعون وأفاكون وزنادقة"[32].

وقال الدكتور محمد أبو شهبة: "إن آثار الوضع والاختلاق بادية عليه، والسند مطعون فيه ، وهي أمور مأخوذة من القرآن، والأحاديث، ثم صيغت هذه الصياغة الدقيقة، وجعلت على لسان موسى عليه السلام. والظاهر المتعين أن إلقاء سيدنا موسى بالألواح إنما كان غضبا وحمية لدين الله وغيره لانتهاك حرمة توحيد الله – تبارك وتعالى –، وأما ما ذكره قتادة فغير مسلم... ومما يؤيد أنه من وضع الإسرائيليين الدهاة أن نحوا من هذا المروي عن قتادة قد وراه الثعلبي[33]، وتلميذه البغوي[34] عن كعب الأحبار، ولا خلاف إلا في تقديم بعض الفضائل وتأخير البعض الآخر، إلا أنه لم يذكر إلقاء الألواح في آخره: فلما عجب موسى من الخبر الذي أعطى الله محمد وأمته قال : يا ليتني من أصحاب محمد، فأوحى الله إليه ثلاث آيات يرضيه بهن : ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ إلى قوله: ﴿دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾، ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ قال: فرضى موسى كل الرضاء"[35].

ومما يقوي القول الأول ما صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: " يرحم الله موسى ليس المعاين كالمخبر أخبره ربه أن قومه فتنوا بعده فلم يلق الألواح فلما رآهم و عاينهم ألقى الألواح و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : رحم الله موسى لو لم يعجل لقص من حديثه غير الذي قص"[36].

والقول بأن سبب غضب موسى – عليه السلام – لما رأى من فضيلة أمة – محمد صلى الله عليه وسلم – ينافي مقام النبوة، فلا ينبغي أن يتصف به موسى – عليه السلام –، وقال صاحب قواعد الترجيح : "كل قول طعن في عصمة النبوة ومقام الرسالة فهو مردود"[37].

هذا، وبالنظر فيما قاله المفسرون نرى أن له وجها وفيه وجاهة، فالسياق يؤيد ما قال ويتلاءم معه غاية التلاؤم في نقد الروايات.

---

[32] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص477.

[33] ينظر: الثعلبي، أحمد بن محمد. (1422هـ/2002م). **الكشف والبيان**. أبو محمد بن عاشور (محقق). ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج4. ص286.

[34] ينظر: البغوي، الحسين بن مسعود. (1417هـ/1997م). **معالم التنزيل**. ط4. دار طيبة للنشر والتوزيع. ج3. ص280.

[35] الذهبي، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ج1، ص265 – 266.

[36] الشيباني، أحمد بن حنبل، (1999م)، **مسند أحمد بن حنبل**، رقم2447، ط2، مؤسسة الرسالة، 215/1، والحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله. (1411هـ/1990م)، المستدرك على الصحيحين، كتاب: التفسير سورة طه، رقم: 3435، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، مصطفى عبد القادر عطا (المحقق)، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، ج2، ص412.

[37] الحربي، حسين بن علي. (1996م). **قواعد الترجيح عند المفسرين**. ط1. الرياض: دار القاسم، ص328.

المثال الثالث: قوله – تعالى -: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: 52].

ذكر المفسرون عند تفسيرهم لهذه الآية روايات وردت في بيان القائل:

عَن ابْن عَبَّاس – رَضِي الله عَنْهُمَا – قَالَ: لما جمع الْملك النسْوَة قَالَ لَهُنَّ: انتن راودتن يُوسُف عَن نَفسه ﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف: 51].

قَالَ يُوسُف: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ فغمزه جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَام فَقَالَ: وَلَا حِين هَمَمْت بهَا فَقَالَ ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف:53][38]

وعن سعيد بن جبير قال: لما قال يوسف: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾. قال جبريل ، أو مَلَك: ولا يوم همت بما همت به؟ فقال:﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[39].

وعَن عبد الله بن أبي الْهُذيْل قَالَ: لما قَالَ يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَام ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ قَالَ لَهُ جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَام: وَلَا يَوْم هَمَمْت بِهِ فَقَالَ ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[40].

عن ابن إسحاق قال ،يقول يوسف: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ﴾، إطفير سيده =﴿أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾، أني لم أكن لأخالفه إلى أهله من حيث لا يعلمه[41].

وعن مجاهد قال: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾، يوسف يقوله[42].

وعن قتادة: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾، قال: هذا قول يوسف[43].

وعن أبي صالح ، في قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾قال هو يوسف، لم يخن العزيز في امرأته[44].

وعن الضحاك قال : ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾، هو يوسف يقول: لم أخن الملك بالغيب[45].

أثر السياق في نقد هذه الروايات:

إذا نظرنا إلى هذه الآية ضمن ورودها في نظم القرآن وجدنا أن هذه الروايات لا يتلاءم ولا يتناسب مع السياق القرآني. فالآية تتمة لقول امرأة العزيز؛ وذلك لأنها أعلنت

[38] الطبري، جامع البيان، ج16، ص144، والسيوطي، الدر المنثور، ج4، ص548.

[39] الطبري، جامع البيان، ج16، ص144، والسيوطي، الدر المنثور، ج4، ص548.

[40] الطبري، جامع البيان، ج16، ص144، والسيوطي، الدر المنثور، ج4، ص549.

[41] الطبري، جامع البيان، ج16، ص140، والسيوطي، الدر المنثور، ج4، ص549.

[42] الطبري، جامع البيان، ج16، ص140، والسيوطي، الدر المنثور، ج4، ص549.

[43] الطبري، جامع البيان، ج16، ص140، والسيوطي، الدر المنثور، ج4، ص549.

[44] الطبري، جامع البيان، ج16، ص140، والسيوطي، الدر المنثور، ج4، ص549.

[45] الطبري، جامع البيان، ج16، ص140، والسيوطي، الدر المنثور، ج4، ص549.

في مجلس التحقيق الذي عقده العزيز بهذا الإقرار الصريح على صدق يوسف – عليه السلام – وبراءته مما رمي به ظلما، فقال الله – تعالى-: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾

قال ابن كثير في بيان الآية ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ مما يدل على أنها من تتمة لقول امرأة العزيز: "تقول: إنما اعترفت بهذا على نفسي، ذلك ليعلم زوجي أني لم أخنه في نفس الأمر، ولا وقع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة، فامتنع؛ فلهذا اعترفتُ ليعلم أني بريئة، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ﴾ تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي، فإن النفس تتحدث وتتمنى؛ ولهذا راودته لأنها أمارة بالسوء، ﴿إِلا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ﴾ أي: إلا من عصمه الله تعالى، ﴿إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام". ثم قال بعد أن ذكر ما قيل أن القول من يوسف – عليه السلام – "والقول الأول أقوى وأظهر؛ لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف – عليه السلام – عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك"[46].

وبهذا الاتجاه قال محمد سيد طنطاوي: "والذي نراه أن الرأى الأول الذي سرنا عليه هو الجدير بالقبول ، لأنه هو المناسب لسياق الآيات من غير تكلف، ولأنه لا يؤدى إلى تفكك الكلام وانقطاع بعضه عن بعض، بخلاف الرأى الثاني الذي يرى أصحابه أن كلام امرأة العزيز قد انتهى عند قوله – تعالى – ﴿وإنه لمن الصادقين﴾ فإنه يؤدى إلى تفكك الكلام، وعدم ارتباط بعضه ببعض، فضلا عن أن وقائع التاريخ لا تؤيده، لأن يوسف – عليه السلام – كان في السجن عند ما أحضر الملك النسوة وقال لهن : ﴿ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه...﴾. وعند ما قالت امرأة العزيز أمام الملك وأمامهن: ﴿الآن حصحص الحق ...﴾ إلى قوله – تعالى – ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[47].

ويؤيد ذلك محمد أبو شهبة فقال: وقد فات هؤلاء الدساسين الكذابين أن قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾، ليس من مقالة سيدنا يوسف عليه السلام ، وإنما هو من مقالة امرأة العزيز ، وهو ما يتفق وسياق الآية ، ذلك : أن العزيز لما أرسل رسوله إلى يوسف لإحضاره من السجن قال له : ارجع إلى ربك ، فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن فأحضر النسوة ، وسألهن ، وشهدن ببراءة يوسف ، فلم تجد امرأة العزيز بدا من الاعتراف ، فقالت : ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾، ليس من مقالة سيدنا يوسف عليه السلام وإنما هو من مقالة امرأة العزيز ، وهو ما يتفق وسياق الآية

[46] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص394.

[47] محمد سيد طنطاوي، (1998م)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، القاهرة: دار نهضة. ج7، ص378.

، ذلك أن العزيز لما أرسل رسوله إلى يوسف لإحضاره من السجن قال له : ارجع إلى ربك ، فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن فأحضر النسوة ، وسألهن ، وشهدن ببراءة يوسف ، فلم تجد امرأة العزيز بدا من الاعتراف ، فقالت : ﴿الآن حصحص الحق ...﴾ إلى قوله : ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ فكل ذلك من قولها: ولم يكن يوسف حاضرا ثَمَّ؛ بل كان في السجن، فكيف يعقل أن يصدر منه ذلك في مجلس التحقيق الذي عقده العزيز ؟"[48].

وقال صاحب قواعد الترجيح: (كل قول طعن في عصمة النبوة ومقام الرسالة فهو مردرد)[49].

وبهذا يتبين لنا أثر السياق القرآني في نقد الروايات الإسرائيلية التي ألصقت بيوسف – عليه السلام – زورا وبهتانا.

خاتمة

يمكن ذكر أبرز نتائج هذا البحث فيما يأتي :

1. السياق القرآني هو فهم الكلمة أو الجملة القرآنية منتظمة مع ما قبلها وما بعدهافي الجملة، وتتسع دائرته فيشمل الجمل السابقة واللاحقة، بل والسورة، والكتاب كله.
2. الإسرائيلية هي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي، والنسبة فيها إلى إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الإثني عشر، وإليه ينسب اليهود. وقد يتوسع العلماء في هذا المصطلح فيطلقونه على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة، منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما.
3. وللسياق القرآني أثر في كشف بطلان الروايات الإسرائيلية ونقدها، ويظهر ذلك إذا ما طابقت القسم الثاني بأن تكون مخالفة لما عندنا، فحينئذ يتم إبطالها، ويحرم روايتها إلا لبيان حالها.
4. ومن الأمثلة على ذلك أثر السياق في نقد الإسرائيليات في قصة هاروت وماروت، وفي قصة موسى عليه السلام –، وفي قصة يوسف – عليه السلام –.

المصادر والمراجع

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1407هـ/2987م). الجامع الصحيح. مصطفى البغا (محقق)، ط3، بيروت: دار ابن كثير.

الآلوسي، محمود بن عبد الله. (د.ت). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. د.ط. لبنان: دار إحياء التراث العربي

البغوي، الحسين بن مسعود. (1417هـ/1997م). معالم التنزيل. ط4. دار طيبة للنشر والتوزيع.

الثعلبي، أحمد بن محمد. (1422هـ/2002م). الكشف والبيان. أبو محمد بن عاشور (محقق). ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

[48] الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ج1، ص288.

[49] الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين، ط: 1، 328.

الجزائري، جابر بن موسى. (1424هـ/2003م). أيسر التفاسير. ط5، السعودية: مكتبة العلوم والحكم.

ابن جزي الكلبي، محمد بن أحمد. (1415هـ/1995م). التسهيل لعلوم التنزيل. محمد سالم هاشم (محقق). ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله. (1411هـ/1990م)، المستدرك على الصحيحين، مصطفى عبد القادر عطا (المحقق)، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (1426هـ/2005م). فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط1، دار طيبة.

الحربي، حسين بن علي. (1996م). قواعد الترجيح عند المفسرين. ط1. الرياض: دار القاسم، ص328.

ابن دقيق العيد، محمد بن علي. (2005). إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام. مصطفى شيخ مصطفى ومدثر سندس (محققق). ط1. مؤسسة الرسالة.

الذهبي، محمد حسين. (2005م). الإسرائيليات في التفسر والحديث ضمن كتاب بحوث في علوم التفسير والفقه والدعوة، ط1. القاهرة: دار الحديث.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. (2002م)، مفردات ألفاظ القرآن. صفوان عدنان داودي (محقق). ط3. دمشق: دار القلم.

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من الباحثين (محقق). د.ط. الكويت: نشر وزارة الإعلام الكويتية.

الزركشي، محمد بن بهادر. (د.ت). البرهان في علوم القرآن، محمد أبو الفضل إبراهيم (محقق). د.ط. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد. (1999م). معجم مقاييس اللغة. عبد السلام محمد هارون (محقق). د.ط. بيروت: دار الجبل.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. (1398هـ/1978م)، تفسير غريب القرآن، السيد أحمد صقر (محقق). د.ط. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر. د.ت. التبيان في أقسام القرآن. د.ط. بيروت: دار الفكر.

السرخسي، محمد بن أحمد. (د.ت). أصول السرخسي. أبو الوفا الأفغاني (محقق). دط. لجنة إحياء المعارف النعمانية.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (2000م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. عبد الرحمن بن معلا اللويحق (محقق). ط1. مؤسسة الرسالة.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (2005م). لسان العرب، ط4. بيروت: دار صادر.

السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر. (د.ت). الدر المنثور . د.ط. بيروت: دار الفكر.

الشافعي، محمد بن إدريس. (د.ت). الرسالة. أحمد محمد شاكر (محقق). د.ط. بيروت: دار الكتب العلمية

أبو شهبة، محمد بن محمد، (د.ت). الإسرائيليات والموضوعات في كتب النفسير، ط4. القاهرة، مكتبة السنة.

الشيباني، أحمد بن حنبل، (1999م)، مسند أحمد بن حنبل، رقم2447، ط2، مؤسسة الرسالة.

الطبري، محمد بن جرير. (2000م). جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أحمد محمد شاكر (محقق). ط1. القاهرة: مؤسسة الرسالة.

الفيروزبادي، محمد بن يعقوب. (2005م). القاموس المحيط. ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

القرطبي، أحمد بن محمد. (د.ت). الجامع لأحكام القرآن. هشام سمير البخاري (محقق). د.ط. الرياض: دار عالم الكتب.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (2000م). تفسير القرآن العظيم. ط1. مؤسسة قرطبة.

محمد سيد طنطاوي، (1998م)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، القاهرة: دار نهضة.